اللغة العربيّة
واستيعاب الثقافات

أ.د: مختار نويوات
أستاذ التعليم، جامعة عنابة

كثيرا ما يطرق أسماعَنا في العصر الراهن أنّ اللغة العربيّـة بعيـدة كـلّ البعـد عـن استيعاب الثقافات المعاصرة لفقدانها ما يؤهّلها لذلك ولأنّها مقصورة على الرّسميـات والمؤسّسات التعليميّة في مستوياتها الدنيا والوسطى وعلى الصحافة وبعض المنتجـات الفكريّة كالأدب ومبادئ العلوم والفنون، ممّـا لا غَنـاء فيـه. وذلـك مـا جعلـها غـير طبيعيّة بل ميّتة أو شبهَ ميّتة لأنّ اللغة الحيّة في عُرْف العلماء لغـةُ التخاطـب، لغـة الشعب؛ بها يعرب عن حاجاته: الماديّ منها والفكريّ والروحيّ، ضاق أم رحُـب، سفُل أم علا.

وهي، فيما يرون، أو يزعمون، أفقرُ ما يكون إلى ما ندعوه اليوم بألفاظ الحضـارة مهما كان ميدانها؛ فلا تستعمل إلاّ هجينـةً، مشـوبة بمـا يَشـينها ويُفقـدها جمالَهـا وعبقريّتها إنْ كان لها عبقريّة كما يدّعي أصحابها الدّاعون إلى إقحامها فيما لا قِبَـلَ لها به: كالعلوم الدقيقة وأحدث مستجَدّات الاختراع العالمي وغير ذلك ممّا تضيق به مداركنا ولا تسعه اللغة العربيّة.

ويقولون إنّ المصطلح العلميّ أو الفنّيّ الذي خُصِّصَ له لفظ واحد أصـيل دقيـق في اللغات الرّاقيَة تؤدّيه العربية بعدة ألفاظ إن أمكنها تأديتـه بأمانـة وبمعنـى لا لَـبْسَ فيه؛ وإنّ واضع المصطلح الأجنبيّ مخترِع منطلق من لغته يبتدئ اللفظ ابتـداءً وبكـلّ حرّيّة ويجبر غيره على إيجاد معادل لغويّ لما اخترع في لسان قـد يختلـف اختلافـا شديدا عن لسانه في طَرائق التعبير أو في المفاهيم، فيعجز عن ذلك أو يتجشّـم صـعابا ترهقه.

وممّا يجعل اللغات الغربيّة الراقية كالإنجليزيّـة والفرنسـيّة والألمانيّـة والإسـبانيّة والروسيّة أكثر مرونـة مـن العربيّـة خلوّهـا مـن الإعـراب والمـوازين الصـرفيّة المقيِّـدة

واعتمادها النحت ونظام السوابق واللواحق، الذي يضفي على مصطلحاتها الدقّة ويسهّل اختراع اللفظ. ثمّ إنّها من فصيلة واحدة وذلك ما يسهّل لها الاقتراض في الميادين العلميّة وما يجعل اللفظ واحدا أو كالواحد إذا خضع للتطويع الذي تقتضيه خصوصيّات اللغة.

وكلّ ما ذكرنا ممّا يعاب على اللغة العربيّة وهميّ أو غير بريئ أو ناتج عن قلّة تروّ في إصدار الأحكام أو عن جهل حقيقيّ يحتاج إلى تبصير.

فتعريف اللغة الحيّة بأنها المتداولة في الأوساط الشعبيّة وفي الرسميّات وفي الفنون والعلوم تعريف مدرسيّ تجاوزه الزمن ومنطق الأشياء ومتطلّبات العصر ومقتضيات الحياة. فما أكثر اللغات الجاريةَ على ألسنة أهلها وعلى أقلامهم وهي لم تكد تتجاوز طور البدائيّة. اللغة الحيّة هي الخاضعة لسنن الحياة،لقانون السير والحركة والتغيّر والتحوّل، شأنها في ذلك شأن كلّ كائن حيّ. هي التي تنشد التطوّر والنضجَ وِفقًا لنظُم معيّنة تقتضيها طبيعتها؛ والواقع والتاريخ يشهدان على ذلك. لكنّها لا تتطوّر إلاّ بتطوّر الوجدان والفكر والبيئة والمجتمع لأنّها صورة لكلّ هذا وهو صورة لها. اللغة الحيّة مجموعة حِقَبٍ لغويّة متسلسلة متعاقبة يصل بينها عامل مشترك وهو مسايرة العصر وتيسير حاجات المجتمع العمليّة واللغويّة.

أمّا ما جَدَّ من ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلميّة والفنّيّة فقد أثبتت اللغة العربيّة على مرّ العصور وبما لا يقبل الشكّ أنّها قادرة على استيعابه. لقد كانت في آخر العهد الأمويّ وفي أوائل العصر العبّاسيّ وجها لوجه مع العلوم الإغريقيّة والأدب الفارسيّ والحكمة الهندية فما لبث العلماء برعاية الخلفاء والوزراء وكلّ غيور على دينه ولغته أن نقلوا هذه الثقافات إلى العربيّة وأثروا بها تراثهم اللغويّ والفكريّ

وجعلوا من حركتهم مثلا يحتذى ومن آثارهم الإبداعيّة أساسا للنهضة الغربيّة التي نُباهَى بها اليوم. ولم تعترضْ سبيلَهم العربيّةُ بل كانت خير عون لهم بما أوتيتْ من مرونة و"من ثراء يضرب به المثل" والعبارة لأحد المستشرقين الفرنسيّين. وهاهي المجامع العلميّة العربيّة والمجالس العليا التي نصبت نفسها لخدمة اللغة والوطن والعلماء والباحثون الأحرار يقتفون أثر القدماء وينهجون النهج نفسه للحاق بركب الحضارة. لقد أنجزوا الكثير الكثير وما وجد أحدهم العربيّة عائقا.

وأمّا المصطلحات العلميّة الجديدة المأخوذة من اللغات المذكورة فكثيرها من المشترك لا يحدّد معناه إلاّ السياق مثل اللفظ fixation :هو من مصطلحات طبّ النفس التحليليّ وله دلالتان مفصّلتان في المعاجم الطبّيّة لا يميّز بينهما إلاّ مجرى الكلام.هذا بقطع النظر عن استعمال الكلمة في مجالات أخرى من اللغة العامّة. ومثله في الاشتراك اللفظيّ myélodysplasie يطلق على داءين مختلفين؛ وهو مكوّن من ثلاث كلمات يونانيّة رُكِّبَتْ تركيبا مزجيّا. ومثل هذا كثير في مختلِف الفنون والعلوم. والترادف كثير كذلك في المصطلحات الطبّيّة والفلسفية وغيرهما. لكنّ هذا الترادف لا يضير إلاّ ما يضير الترادف بين الجرّ والخفض عند النحاة.

والحقيقة أنّ الغربيّين لجأوا في الاصطلاحات العلميّة إلى اليونانيّة كما لجأ إليها الرومان وإلى اللاتينيّة لأنهما مصدر لغات غرب أوربا ولأنّ هاتين اللغتين تُبْعِدان المصطلح عن الهالات المعنويّة التي يمكن أن تحيط به لو أُخِذَ من اللسان اليوميّ المعاصر. وبذلك يصير علَما أو كالعلَم الذي يجهل معناه. ومن يعرف دلالات المصطلحات المشهورة الجارية على الأسنة منذ أكثر من ألفي سنة مثل الأوكسجين والهيدروجين والأزوت والسيروم (sérum)؟ ومعناها على التوالي في لغاتها الأصليّة

: مولّد الصدإ، ومولّد الماء، ومضادّ الحياة، وعصير الجبْن؛ ولـذلك ترجمـت قـديما بالمصدئ والمُميه والقاتل وقالوا المَصْل وهو عصير الجبن. فهذه المصطلحات العلميّة في اليونانيّة مأخوذة من لغة الشعب إلاّ أنّ استعمالها على مدى العصور بدلالات محدّدة ضبطها وأضفى عليها العالَميّة ونوعا من العَلَميّة. وجاء الغربيّون فوجدوا في اليونانيّة واللاتينيّة مَعينا لا ينضِب وطريقة مثلى لوضع المصطلحات العلميّة بحيث تكون هذه المصطلحات المأخوذة من اللغتين القديمتين اللتين لم يعد يفهمهما إلاّ النــزر القليـل ممّن درسهما، تكون مقصورة على مدلولها. فكانت لهم الحرّيّة المطلقة في اسـتعمالها والتصرّف فيها كما شاءوا ويحدّدون لها معاني لم يقل بها أحد من أهلها. ومن ذلك ما يدخل في باب النوادر. ذكر محمّد كامل حسين في محاضرة ألقاها في مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة في جلسة 1955/12/19، متحدّثا عن المصطلح الطبّيّ agranul ocytosis وهو متكوّن من أربعة أجزاء: النفَس والحبيبات والخلايا والكثرة. والنفس والكثرة يصعب جمعهما في كلمـة عاديّـة؛ ثـمّ إنّ الـنفَس منصـبّ علـى الحبيبـات، والكثرة على الخلايا؛ وليس من السهل أن يُحَدّد ذلـك في لفـظ مـألوف. وقـد يكـون المعنى مضحكا في اللغة العاديّة. فرأى العالِم البولنديّ (متشـنكوف) بعـد استشـارته لأحد أساتذة اللغات الكلاسيكيّة أن يضع لهـا لفظـا يونانيّـا فـاقترح عليـه الأسـتاذ المستشار كلمة "أوبسونين" ومعناها في اليونانيّة "أحْضُرُ للأكـل" وهـي في الاصـطلاح شيء في الدم يَعْلَقُ بالجراثيم فيجعلها أسهلَ هضما على الخلايا التي وظيفتها القضاء على الجراثيم . ومثلُ هذا المصطلح اللفظ العلميّ anaphylaxie : تعني في الإغريقيّـة " غيبة حارس المدينة" وتستعمل في الطبّ لوصف الصدمة التي تحدث للأرنب حين يُحْقَن بطريقة خاصّة. وكـذلك فعلـوا حـين أخـذوا المصـطلح libido مـن الهيلينيّـة،

ومعناه اللذّة. فعلوا ذلك لبعد اللفظ اليونانيّ عن المألوف. وعقّب محمد كامل حسين بأنّ أرسطو لو بُعِث واطّلع على هذه المصطلحات لظنّ بالعلماء المعاصرين الجنون أو الجهل. وأعقّب بدوري قائلا لو أنّه بعث وعرف وظائف أخرى للهيدروجين لا سيّما في الحرب العالميّة الثانية وما بعدها لسمّاه باعث الخراب ومبيد الإنسانيّة لا مُولّد الماء كما يعني اللفظ في لغته.

وفي العربيّة من المصطلحات وغير المصطلحات ما يشبه ذلك من نسيان أصل الكلمة في اللغة وأخذها بالمعنى المعاصر الذي آلتْ إليه في تطوّرها بمختلف وسائل التطوّر.فَ"الهاتف" كان يطلق على الذي يُسمَع صوتُه ولا يُرى شخْصُه وهو مقترن في الغالب بعالَم الأرواح، والعامّة عندنا تسمّيه القائل؛ فأصبح يطلق على الآلة المعروفة ولا يخطر ببال أحد أصل معناه. هذا إن كان يعرفه. وكذلك القطار والإمام والأديب والفنّان والسيّارة والقنبلة والذّرّة والدّبّابة والمدرسة وغيرها من الألفاظ القديمة التي نُقِلَتْ من معانيها الأصلية إلى دلالات قلّ من يعرفها؛ومنها ما لا يجرؤ اللغويّ على شرحه لإمام أو أديب أو فنّان ولو كان بينهما وشائج قربى وروابط صداقة.

ومثل هذا كثير في اللغات الغربيّة المعاصرة؛ ننطق بالكلمة فنظنها واحدة في أصل وضعها، واحدة في دلالتها البعيدة. ولنأخذ بعض الأمثلة كاللفظ Tennis الدّالّ على اللعبة المشهورة في الأوساط الرياضيّة المعاصرة، المكوَّن من لفظين إنجليزيين lawn-tennis. ومعنى الأوّل (lawn) خضيرة (أرض خضراء). أمّا الثاني فمأخوذ عن الفرنسيّة tenez (خذْ أو خذوا) لأنّهم كانوا يباشرون هذا النوع من الرياضة على الخضيرة ويقولون: خُذْ!(tenetz)بإنجليزيّة القرن الرابع عشر الميلاديّ.

ويقـال في علمَـيِ الكيميـاء والطـبّ benzène وbenzol وbenzine وbenzoate وماقارب ذلك من الألفاظ العلميّة ذات الجذر الواحد والدلالات المتعدّدة. وهذا الجذر أُخِذَ قديما عن العربيّة "لبان جاوة " وتسميه عامّتنا " الجـاوي" بحـذف الموصـوف (اللبان). دخل اللاتينيّة في العصـور الوسـطى بعـدّة أشـكال مثـل (benzoe) ومنه البنزين في العربيّة المعاصرة، وكلّ ما اشتقّ منـه في اللغـات الأجنبيّـة بـأثر مـن التطوّر العلميّ.

ومن ذلك كلّ الألفاظ القديمة لاسيّما الأعلام أصلية كانـت في لغتهـا أم دخيلـة. وقد بيّن Edward Sapir في مقال بعنوان "اللغـة والمحـيط " أنّ أسمـاء المـدُنِ كلّمـا قَدُمَتْ استغلق معناها إلاّ على المتخصّصين في تاريخ اللغة؛ وأورد أمثلة لـذلك منهـا Essex و Norfolk و Sutton مبيّنا أنّها مكوّنة من كلمتين وأنّ أصلها على التـوالي : East Saxon وnorth Folk و South Town وأنّ أغلب الناس لا يراها إلاّ لفظا واحـدا كالسـمْن والجـبْن(Linguistique, traduction française, p.78, Les) éditions de Minuit

والحقيقة أنّ الكلمات في اللغات الغربيّـة يكثـر فيهـا النحـت والاختـزال وتُرسَم كاللفظ الواحد فيخيّل للسامع أو القارئ أنّها وحدة لا تتجزّأ؛ شـأنها في ذلـك شـأن الكثير من ألفاظ لغتنا الدارجة. مَنْ مِنَ العامّة ينتبـه إلى أنّ الفعـل حشـلف، بمعنـى ازدرد، مركّب من حشّ+ لفّ ؛ وأنّ الأمّ عندما تؤنّب ولدها باللفظ "إلينْ !؟" تقصد "إلى أين تبلغ بك الوقاحة؟ لو كانت المرأة تعرف دلالة "هايْ فيك!" لما وضعت يدها على ذقنها متوعّدة أحد أبنائها، لأنّ معنى العبارة :"سأحلق لحـيتي إنْ لم أعاقبـك على فعلتك". وبعبارة أخرى : "لستُ كاملـة الرّجولـة إنْ لم أعاقبـك". واللحيـة في عرف العرب من كمال الرجولة. كمْ مِنّ أساتذة الأدب العربـيّ يعـرف معرفـة دقيقـة

معاني الأعلام القديمة كجرير والفرزدق والأخطل والأصمعيّ والأقيشر والحطيئة وأبي الأسود الدؤليّ والشنفرى ورؤبة والعجاج ؟وغيرهم كثير.

وادّعاؤهم بأنّ العربيّة فضفاضة غير دقيقة تدحضه المعاجم العامّة كالصحاح والتهذيب ولسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس والمخصّص، ومعاجمُ المصطلحات العلميّة والفنيّة وبخاصّة ما كان بثلاث لغات، والدراساتُ الخاصّة قديمها وحديثها وما أكثرها ! قلنا مثلا : الجدّ والجدّة والعمّ والخال؛ وعبّروا عنها بكلمتين؛ وسمّينا من فقد أباه يتيما؛ ومن فقد أمّه عَجِيًّا، ومن فقد أباه وأمّه لطيما؛ واستعملوا للّفظين الأوّلَيْنِ ثلاث كلمات وللثالث ستّا. وسمّينا مشقوق الشفة العليا "أعْلَمَ " ومشقوق الشفة السفلى "أفلح ". ومنه قول الشاعر القديم :

وأخّرني دهري وقدّم معشرا على أنّهم لا يعلمون وأعلم

ومُذْ أفلح الجهّال أيقنت أنّني أنا الميم والأيّام أفلحُ أعلمُ

ولنا العُلْمة والفَلَحُ وليس لهم في مقابل هذه الألفاظ الأربعة إلاّ bec-de-lièvre فإن أرادوا أن يقولوا أعلم لجؤوا إلى ستّ كلمات (Qui a la lèvre supérieure fendue)وكذلك الأمر في "أفلح ". والأعْنَشُ في العربيّة من له ستّ أصابع ويقابله في الأنجليزيّة polydactilous وفي الفرنسيّة polydactyle وكلاهما مصطلح غير دقيق، مركّب تركيبا مزجيّا يعني جزؤه الأوّل (poly) "متعدّد " لذلك أبدل الفرنسيّون منه السابقة sex وتعني العدد 6 . والحقيقة أنّ معظم المصطلحات العلميّة إمّا منحوت وإما مركّب تركيبا مزجيّا وإمّا مكوّن من عدّة كلمات قد تبلغ الستّ والسبع. ونظرة سريعة في معجم النبات تبيّن ذلك بوضوح لاسيّما ما كان مصطلحا علميّا بأتمّ دلالته ويكون حينئذ باللاتينية.

في العربيّة كذلك نظام السوابق واللواحق والدواخل وبه تُوَسَّعُ اللغة ويُدَقّقُ في المعاني. ومن أمثلة ذلك: وزر للسلطان: صار وزيرا له؛ واستوزره: جعله وزيرا أو طلبه للوزارة، حسَب ما يقتضيه السياق؛ وتوزّر له: صار وزيرا له يحمل عنه الأعباء، وهو على المجاز خلافا لِوَزَرَ. وفيها النّحت بأضربه، وهو قليل بالنسبة إلى اللغات الهنديّة الأوربّيّة، ولذلك دعا العلماء المعاصرون إلى التوسّع فيه لجعل اللغة أكثر مرونة لا سيّما فيما يتعلّق بنقل ما جدّ في العصر الحاضر من المعارف. وقد بدأ النحت ينمو يوما بعد يوم فصرنا نقول: قرْوَسطيّ، نسبة إلى القرون الوسطى؛ ومُجْتَمِهَنِيّ، بمعنى مختصّ بالمجتمع المهنيّ. وكان العرب سبقوا إلى هذا النوع من التركيب. قالوا: مِشْلَوز (من المشمش واللوز)، وإمَّعَةٌ (إنّي معك)، وعَبْدَرٌ (بنو عبد الدار) وعبدريّ (من بني عبد الدار) وبَلْقَيْنُ (بنو القين)، وتيمليّ (من تيم اللات)، ومروزيّ (من مرو الشاهجان)، ومرْقُسِيّ من امرئ القيس. كما قالوا بأثر من الدين أو خارجَه: بسمل وحسبل (حسبيَ الله) ودمعز (أدام الله عزّك) وكبتع (كبت الله عدوّك) ومشكن (ما شاء الله كان) وجعفد، جعفل، جعلف (جُعِلْتُ فداك)وتويّل (قال يا ويلي!) وأيَّهَهُ (صاح به "أيّها الرجل!") والأمثلة على ذلك كثيرة.

ومن وسائل العربيّة في الإيجاز ممّا تصعب ترجمته بلفظ واحد المثنّى الدالّ على كائنين غير متشابهين لكنّهما متلازمان أو بينهما علاقة شبَه أو غيرِه: القمران والسعدان (المشتري والزهَرَة) والخافقان أو المشرقان، والمشرقان والمغربان (أقصى الأمكنة التي تُشرق وتَغْرُب فيها الشمس صيفا وشتاءً)والأعميان (السيل والحريق)، والأمرّان (الفقر والهرم)، والأقطعان (السيف والعلم) وما إلى ذلك ممّا يعد بالمئات وما صُنّف فيه العشرات من الكتب.

ومنها ما دقّ معناه واختير له لفظ واحد أو لفظان ممّا لانكاد نجد له مثيلا في لغات العالَم المتمدّن: كالخثعمة وهي اجتماع قوم يذبحون ويأكلون، ثمّ يجمعون الدم، فيخلطونه بالطيب، ويغمسون أيديَهم فيه، ويتعاهدون ألاّ يتخاذلوا.وتجابّا: تزوّج كلّ منهما أخت الآخر؛ والمثفّى من مات له ثلاث زوجات أو أكثر؛ وناء النجمُ سقط في الغرب مع الفجر وطلع آخَرُ يقابله في الشرق. فإذا ما انتقلنا إلى الألفاظ المشتقّة من الأعداد من الثلاثة إلى العشرة بصيغها المطّردة ودلالاتها القياسيّة وبحثنا عمّا يقابلها من الكلمات في اللغات الغربيّة لم نجد إلاّ النزر القليل منها لأنّهم ينقلونها تارة بخمسة ألفاظ أوستّة. وقد قمنا فعلا بالعمليّة. ومثل هذه الكلمات الدقيقة في معانيها تعدّ بالمئات في المعاجم العربيّة. أيقال بعد كّل ما رأينا أن العربيّة غير دقيقة في أصول وضعها ؟

ولا نريد أن نظلم القوم أو نفضّل العربيّة على غيرها من اللغات، فإنّ الألسنة متكافئة ولكلّ منها عبقريّته وطريقته في الأداء. إنّما أردنا أن نرفع عن لغتنا التزيّد في القول ورميها بالعقم وهي الولود المنجاب.ولم نقصد كذلك إلى تهوين عمل شاقّ كنقل العلوم والفنون في ظروف قاسية لا ترحم أحدا وفي عصر يتّسم بسرعة الإنجاز وباختراعات مذهلة لم تكن تحلم بها البشريّة ولا قِبَلَ للضعفاء والمستضعفين بَلْه المتوقّفين الوالهين المشدوهين عن التحقيق بالمساهمة فيها وفرض وجودهم على معاصريهم. وكثيرا ما نجد في مطالعاتنا الباحثين في مختلف المجالات يصرّحون بصعوبة نقل مفهوم من المفاهيم أو تعبير أو مجرّد لفظ لعدم وجود ذلك في لسانهم. وقد يكون الخطب أشدّ كلّما ابتعدت الحضارات وطرائق التفكير ووجوه التعبير وبقدر ما تختلف التجارب وأنماط الحياة والمحيط المُتَقَلَّبُ فيه يختلف التناغم والتجاوب

بين العقول والأذواق لاسيّما في الأدب والفنون. لذلك كان نقل الآثار الأدبيّة الفنيّة من لسان إلى آخر وبجمالها الأصيل يشبه المستحيل إن لم يكن المستحيل نفسَه. أماّ نقل العلوم مهما دقّتْ والتكنولوجيا على حداثتها وتنوّع ابتكاراتها فأقلّ وطأة ،والأمر نسبيّ على كلّ حال. وللعربيّة ما للغات الغربيّة الحديثة الراقيَة من الوسائل التي تكفل لها النجاح في مواكبة الحاضر والأخذ بأسباب الحياة المعاصرة. ولن يكون ذلك إلاّ بالإرادة الصادقة والعمل الدؤوب وتوحيد الجهود وتشجيع الكفاءات.

العربيّة من اللغات الساميّة تطوّرت عبر آلاف السنين تطوّرا طبيعيّا لا نعرف كنهه. وكانت في الجاهليّة لهجات متباينة قرّبت بينها الأسواق التجاريّة كأسواق عكاظ وذي المجاز ومَرّ الظهران والمفاخرات الأدبيّة التي كانت تعقد فيها ومواسم الحجّ وغير ذلك ممّا لا علاقة له بموضوعنا،إلى أن تكوّنت لغة مشتركة يسّرت التواصل اللغويّ بين العرب. وهي إعرابيّة اشتقاقيّة تتصرّف إلى أقصى حدود التصرّف؛ وذلك ما جعلها مرِنة طيّعة . وهي أيضا ثريّة يضرب المثل بكثرة مفرداتها ودقة معانيها؛ لم يستطع أحد حصرها ولا معرفة مقدارِ ما لم يدَوَّنْ منها. وكلّ ما نعلم أنّ ابن منظور جمع منها في "اللسان " ثمانين ألف مادّة وأنّ الفيروزباديّ أورد في قاموسه ستّين ألفا.

ويكمن ثراؤها في موازينها الصرفيّة وتعدّد معانيها ومقدرتها الفائقة على تفجير الدلالات وتأدية الفروق الدقيقة. فيها المصدر بأنواعه الثلاثة، وما يفيد بمجرّد صيغته الفاعليّة والمفعوليّة والمكان والزمان والمرّة والنوع والآلة والتصغير والصفة والمبالغة والنسبة وفيها الفعل بموازينه التي تربو على الخمسين إن عدَدْنا ما دُعِيَ بالإلحاق من هذه الموازين ولكلّ وزن معان مطّردة تبلغ الأربعة عشر أحيانا كمعاني فعّل

وأفعل، وببنائه للفاعل أو للمفعول. وفيها التضمين وبخاصّة في الحروف؛ وقد أسهب القدماء في دراسته كابن هشام والهرويّ.

وكان الجاهليّون منذ عصور موغلة في القدم يهذّبون لغتهم ويصقلونها حسَبَ أذواقهم وبطريقة عفويّة معتمدين في ذلك ما يجعلها خفيفة على السمع سهلة على اللسان سائغة جميلة. لجأوا في ذلك إلى أساليب شتّى من الإبدال والإعلال والحذف والزيادة والقلب والإدغام و من تجنيبها عدم الانسجام في مفرداتها وتراكيبها وعدم اللبس في التعبير؛ كما أثروها بوسائل متنوّعة من الاشتقاق والتوسّع في الدلالة وبالنقل وضروب التشبيه والمجاز والاستعارة. وأخذوا الكثير عن غيرهم كما أعطوا الكثير.

تلك اللغة التي نزل بها الوحي، فزاد في ثرائها لأنّها لم تسع مفاهيمه الجديدة عليها كلّ السعة. فطوّعها وثبّتها ورعاها وكساها الخلود وما زالت في كنفه إلى يومنا هذا ولولاه لتطوّرت تطوّرا طبيعيّا واندثرت كغيرها من اللغات القديمة وأدال الله منها اللهجات المحلّيّة المعاصرة.

انتشر الإسلام فوحّد العرب ومهّد لهم السبيل لتأسيس دولة قويّة ومكّنهم في الأرض فنشروا عقيدتهم فاعتنقتها شعوب متباينة في أعراقها مختلفة في لغاتها متنوّعة في حضاراتها.وما كاد يمضي القرن الأوّل الهجريّ حتّى تكوّنت أمبراطوريّة إسلاميّة مترامية الأطراف وفي أمسّ الحاجة إلى التطوّر الاجتماعيّ الثقافيّ والأخذ بأسباب الحضارة والذبّ عن الدين واللغة وكانت تحاصرهما أديان ولغات سبقتهما إلى الوجود وإلى التمرّس بفنون الكفاح. ونحن اليوم نعيش التجربة نفسها ونعاني ما عانوا من مشاقّ وندرك كما أدركوا أنّ الحياة للجدير بالحياة وأنّ البقاء للأصلح. هبّ المسلمون للتعمّق في فهم دينهم تدعمهم في ذلك الدراسات اللغويّة والأدبيّة والتاريخية

بالمفهوم القديم وما انتهى القرن الرابع الهجري حتى تأسست العلوم الإسلاميّة وجمعت اللغة وقُعِّدَتْ لها القواعد العامّة والخاصّة وأُحْصِيَتْ مفرداتها وحُصِرتْ تراكيبها وعُرِفَ مؤتلفها ومختلفها ومطّردها وشاذّها ودرست مقاييسها وأسرار دلالاتها واتخذت القرآن منهجا فأخذت بمبدإ التوسّع في دلالة الألفاظ. وكان ذلك فتحا جديدا على العلوم اللغويّة سمح بأخذ المصطلحات من البيئة مهما كان الفنّ ومهما كانت صعوبته. فمصطلحات علم الكلام و الأصول والفقه والحديث والنحو والصرف والعروض والبلاغة والموسيقى، وما إليها مأخوذة من اللغة اليومية العامّة، مستعملة في فنّها بمعان خاصة أعطتها الحركة العلميّة الغزيرة المتدفّقة طابع المصطلح الدقيق. ولا أدلّ على ذلك من مصطلحات العروض الذي اخترعه الخليل واختار ألفاظه الخاصة به ممّا لا يجهل معناه اللغويَّ عربيّ أصيل عريق في بداوته أو في حضارته. من ذلك البحور وأسماؤها كالطويل والمديد والبسيط والهزج والكامل؛ والبيت وأجزاؤه كالشطر والصدر والعجُز والعروض والضرب والصحيح والسالم والموفور والمعرَّى والفصل والغاية؛ والتفاعيل وأجزاؤها كالسبب والوتد والفاصلة؛ والزحافات وأقسامها والعللُ وأنواعها؛ والمعاقبة والمراقبة والمكانفة؛ والقوافي وحدودها كالمترادف والمتواتر والمتدارِك والمتراكب والمتكاوس أو حروفها وحركاتها. والمصطلحات البلاغيّة مأخوذة كلّها من اللغة العامّة بدلالات جديدة لا يعرفها إلا المتخصّص في الفنّ. من ذلك البديع والحقيقة والمجاز والكناية والاستعارة والإيغال أو التبليغ والتورية والجناس والطباق والتصدير والمقابلة والتضمين والإجازة وما إليها ممّا يُعْرَف في أبواب البلاغة. هل ينكر أحد أنّ هذه مصطلحات دقيقة لا يدركها إلاّ من درس الفنّ وأنّ العربيّ القديم لا يفهمها إلاّ بمعناها اللغويّ ؟ ألم يُرْوَ مثلا أنّ

كتاب العروض للخليل عندما اطّلع عليه أهل الأندلس لم يفهمه أحد منهم ما عدا زريابا عليّ ابن نافع نابغة زمانه في الموسيقى والغناء ؟ ألا يبدأ المؤلّفون القدماء وكثير من المحدثين بتعريف المصطلحات في دلالتها أو دلالاتها اللغويّة ثمّ يذكرون معناها في فنّها. ألا يعني لفظ " الحرف"، فيما كان يعني، مجرّد "الكلمة " اسما كانت أم فعلا أم حرفا؛ ثمّ صار في علم النحو مصطلحا دقيقا في أداء معناه ؟ وهل يعرف غير المختصّين أنّ اللفظ verbe في النحو الفرنسي أصل معناه في اليونانيّة "كلمة " لأنّ اليونان كانوا يعدّون الفعل أهمّ ألفاظ الجملة ؟ وقد بقِي هذا المعنى في تعابير فرنسيّة كثيرة.

أريد أن أقرّر مبدأ علميّا سبقني إليه الكثير وبرهنت عليه التجارب عبر القرون وبصفة خاصّة العصر الحاضر بحركته العلميّة المدهشة المذهلة التي ضيّقت علينا الخناق فجعلتنا لا نعدو طور الترجمة ووجدنا أنفسنا في قفص يصعب الخلاص منه إلاّ بجهد جهيد وببذل النفس والنفيس كما يقال. فاللغة لا تكون حرّة طليقة منتفعة بكلّ طاقاتها إلاّ إذا كان أهلها علماء منتجين مخترعين يغترفون من موارد لسانهم بكلّ حرّيّة وبسهولة فائقة كما رأينا آنفا. والحضارة الإغريقيّة أو الفارسيّة أو الهنديّة أو الرومانيّة أو الإنجليزية أو الألمانيّة لم تُعْرَفْ أصالة إلاّ بلغة أصحابها ولا تُصَدّر إلاّ بهذه اللغة أو بالنقل المضني وكلا الأمرين أحلاه مُرّ.

كانت الدواوين في العصرين الإسلاميّ والأمويّ باللغات الأجنبيّة المحلّيّة: بالفارسيّة في العراق وفارس، وباليونانيّة في الشام، وبالقبطيّة واليونانيّة في مصر؛وكان كتّابها من الموالي.وفي خلافة عبد الملك بن مروان وولاية الحجّاج بن يوسف بدأ تعريب هذه الدواوين بالتدرّج، وبقي عمّالها من المعاهدين لكفاءتهم الإداريّة؛ وأخذ

العلماء على عاتقهم تحسين مستواهم في اللغة العربية وتوسيع أفقهم لما كان لهم مجالات منتوّعة في أعمالهم.وقد بيّن ذلك عبد الحميد الكاتب في رسالته الشهيرة للكتّاب. وممّا جاء فيها: "فتنافسوا يا معشر الكُتّاب في صنوف الآداب وتفقّهوا في الدين وابدؤوا بعلم كتاب الله عزّ وجلّ، والفرائض؛ ثمّ العربيّة فإنّها ثِقاف ألسنتكم واعرفوا غريبها ومعانيها وأيّام العرب والعجم وأحاديثها وسِيَرها، فإنّ ذلك مُعين لكم على ما تسمو إليه هممكم. ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنّه قوام كتب الخراج". وكلّ كتاب دُعِيَ "أدب الكاتب" أو "أدب الكتّاب" في تاريخ الحضارة العربيّة الإسلاميّة كان يرمي إلى هذه الغاية. وبقيت العناية بتثقيف الكتاب ورفع مستواهم إلى القرن التاسع حيث ألّف لهم القلقشنديّ أحمد بن عليّ (ت.838) كتابه الشهير "صبح الأعشى في قوانين الإنشا" أربعة عشر مجلّدا، تناول فيه فنونا عديدة من التاريخ والأدب ووصف البلدان والممالك (يرجع إلى مجلّة المشرق،516/9).

جاءت الدولة العبّاسيّة في القرن الثاني الهجريّ وكانت الحضارة الإسلامية بمنجزاتها وبما اكتسبت من طاقات قطعت أشواطا بعيدة. وكان العامل الدينيّ القويّ وامتزاج الشعوب المعتنق أكثر أفرادها للإسلام وتكاثر المولَّدين وتجاور الأديان والثقافات في ما بين السند وفرنسا وتتابع الفتوح وحاجة الدولة إلى التمكين لنفسها بأنجع السبل، كلّ ذلك أحدث نشاطا ثقافيّا منقطع النظير وحركة فكريّة رعاها الخلفاء منذ عهد المنصور، والوزراء كالبرامكة ومن خلفهم والأمراء والولاة ومن لفّ لفّهم. بل انتقل هذا النشاط بروحه السامية المتوهّجة الوثّابة إلى الطبقة الممتازة من الشعب كلّه ورغب الناس في التعلّم والتعليم والتأليف والاطّلاع على الثقافات القديمة والحضارات المعاصرة ونقلها إلى الحضارة الجديدة وإلى اللغة العربيّة. وأشرف الخلفاء

أنفسهم على تنظيم هذه الحركة الفكريّة وتوفير الوسائل لها بإنشاء المراكز الثقافيّة كدار الحكمة على عهد المأمون وعلى اقتناء الكتب وعلى تسهيل نقلها بمكافآت قد لا تخطر اليوم ببال أحد منّا. أورد ابن أبي أصيبعة عن مصادر قديمة أنّ المأمون كان يعطي حنين بن إسحاق من الذهب زنة ما ينقل إلى العربيّة (عيون الأنباء، ص260). ومهما تكن صحّة هذه الرواية فإنّها تبيّن مقدار تشجيع الخلفاء لحركة النقل. وما أثبتّ ذلك إلاّ لأبيّن البَوْن الشاسع بين مجتمع الأمس ومجتمع اليوم. وكان النقلة يجوبون أقاصيَ البلاد للبحث عن الكتب النفيسة التي ينقلونها من لغاتهم الأصليّة كالهنديّة والفارسيّة واليونانيّة والسريانيّة والرومانيّة والقبطيّة. ومنهم من تعلّم عدّة لغات ليقابل بين النصوص المترجمة عن لغة ثانية وبين النصوص الأصليّة. أمّا ما نقلوا من آثار فلا يمكن حصره في هذه العجالة وليس من اهتماماتنا.ومن أراد الاطّلاع عليه فليأخذه من مظانّه كالفهرست لابن النديم، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطيّ، وعيون الأنباء في طبقات الأطبّاء لابن أبي أصَيْبعَةَ والموسوعات والدراسات المفصّلةِ وهي وافرة في العربيّة وفي اللغات الأجنبيّة.

الذي يعنينا أنّ العلماء نقلوا في تلك العهود المئاتِ من الكتب في شتّى ميادين المعرفة وألّفوا عشرات الآلاف منها، وأنّهم وجدوا في العربيّة أداة طيّعة مرنة فإن استعصى عليهم شيء طوّعوه لها أو طوّعوها له والثّاني قليل، لكنّه زادها مرونة وأثراها بألفاظ وتراكيب جديدة. أمّا المفردات التي لا يوجد لها ما يقابلها في العربيّة فتبنّوها بصيغتها الأجنبيّة وذلك قليل أو أعطوها الصيغة العربيّة –وهو الغالب– ويدعى اللفظ معرّبا. وقد ألّفوا في الدخيل والمعرّب. ومن ذلك "المعرّب" للجواليقيّ موهوب بن أحمد (ت539)، و"المعرّب والدخيل" لمصطفى المدنيّ (ذكره البغداديّ

في "إيضاح المكنون: 512/4)، وبيّنوا القواعد التي تضبطهما.ومن الدخيل في مؤلّفات ابن سينا الطبّيّة الأوْرطيّ لما يسمّيه العرب الوتين أو الأبهر لأنّ ابن سينا لم يكن يتحرج كثيرا في استعمال الألفاظ الأجنبيّة ولو كان لها مقابل في العربيّة. مع أنّ الأوْرطيّ لايعدو أن يكون معناه "المعلّق "وكان يطلق قبل أرسطو على القصب الرئويّ فأطلقه صاحب المنطق علىالشريان الرئيس في القلب (aorte). ومن المعرّب المهندز أو المهندس والفلسفة وغيرهما كثير. وليس من موضوعنا حصرُ الألفاظ الدخيلة والمعرّبة. وأحدثت حركة النقل صيغا وتراكيب جديدة كالمصدر الصناعيّ مثل الإنسانيّة والمثاليّة والغائيّة والشخصيّة وإدخال أداة التعريف على الضمائر والحروف والجُمَل وغير ذلك ممّا لم تعهده العربيّة فقالوا : الأنا، والأنانيّة، والكمّ، والكمّيّة، والكيف، والكيفيّة، واللاّوعي، واللاّأدريّة وأصلها "لا أدري". وفصلوا بين المبتدأ والخبر بالضمير مثل "الاسم هو ما دلّ على..."

دخلت اللغة العربيّة إلى الحضارات القديمة من بابها الواسع وخرجت قويّة واسعة فأصبحت لغة الدين ولغة العلم والفلسفة والأدب واضمحلّت بجانبها كلّ اللغات التي احتكّت بها بعد الفتوح. وتأسّست حضارة عربيّة تطوّرت قرنا بعد قرن وشهد لها العالم بالنبوغ والعبقريّة وبأنّها كانت أساسا للحضارة الغربيّة في أوّل نهضتها ؛لأنّ الغربيّين نسجوا على منوال العرب. نقلوا إلى لغاتهم كلّ ما ورثوا وكلّ ما استباحوا من الآثار العربيّة. وهم أوّل من ألّف في ذلك ومن اعترف بأنّ العرب لم يكونوا مجرّد نقلة للعلم القديم،بل كانوا السبّاقين إلى تمثّله بالمعنى العلميّ للكلمة والإفادة منه وتمحيصه ونقده نقدا بنّاءً وتطويره تطويرا لا ينكره إلاّ مكابر أو جاهل.يقول يوهان فك: "ولقد برهن جبروت التراث العربيّ التالد الخالد على أنّه

أقوى من كلّ محاولة يُقْصَدُ بها إلى زحزحة العربيّة الفصحى عن مقامها المسيطر. وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل فستحتفظ أيضا بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنيّة الإسلاميّة ما بقيت هناك مدنيّة إسلاميّة "(العربيّة، ص234).

وهل كان من الممكن أن تستوعب العربيّة هذه الثقافات العميقة الراسخة في أسمى الحضارات البشريّة لولا تطوير أهلها لها وحدَبُهم عليها وسهرهم على صفائها ؟ ألم يرووا أنّ أعرابيّا دخل السوق ببضاعة لم يفلح في الترويج لها وسمع بعض الأعاجم يلحنون فتعجّب من ذلك وقال: "سبحان الله ! يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح !" وهذا اللحن الناشئ عن دخول غير العرب في الإسلام واستعمالهم للعربيّة في التعامل الرسميّ أو عند الاضطرار كان الباعث على الدراسات اللغويّة التي ما زالت تبهر الأجانب حتى قال المستشرق الفرنسيّ بلاشير: " لم أجد على وجه البسيطة من درس لغته كما درس العرب لغتهم." وقال في النحو العربيّ " إنّه نحو مثاليّ ".

وجاء عصر الانحطاط العربيّ والنهضة الغربيّة فنقل الغربيّون حضارة العرب وبعض المصطلحات العلميّة المُثبَتِ أصلها في معاجمهم. بل دخلت لغاتِهم ألفاظ يصعب التنبّه إلى أنّها مأخوذة من العربيّة لما أصابها من تحريف تقتضيه طبيعة لغتهم مثل Vega(النسر الواقع) و arsenal (دار الصناعة) وsirop (شراب) وsorbet (شربة) و tabouret و tambour وكلاهما من الطبل فيما تنصّ عليه المعاجم الفرنسيّة أو من الطنبور وهو من آلات الطرب ذوات الأوتار كالقيثارة ، وهلمّ جرّا كما يقال.

واستيقظنا من سباتنا العميق في القرن التاسعَ عشرَ فوجدنا أنفسنا متأخّرين بسبعة قرون. وأحاط بنا الأعداء من كلّ جانب، وتتابعت علينا السنون، واستُعْبِدنا ووهنّا لما

أصابنا واستكنّا وحوربتْ لغتنا في عقر دارها إلى أن صحونا من غفلتنا وحرّرنا بلادنا ولغتنا وسائر مقدّساتنا. وبقي الجهاد الأكبر.

ظهرت الصحوة الأدبيّة اللغويّة في البلاد العربيّة في مصر على عهد الخديويّ إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمّد عليّ الكبير، منشئ المكتبة الخديويّة المصريّة والجاعل من العربيّة الفصحى اللغة الرسميّة للدولة، بعد حكم عثمانيّ دام ثلاثة قرون ونصف كانت فيها السيادة للأتراك والتركيّة. وتطوّر الأدب واللغة تطوّرا ملحوظا بالبلاد العربيّة وبخاصّة في لبنان وفي مصر. ونشطت الحركة الثقافية بانتشار التعليم على نطاق واسع وبفضل التأليف وظهور الصحافة وإرسال البعثات إلى الخارج والاحتكاك بالأجانب والاطّلاع على المدنيّة الغربيّة عن كثب والشروع في نقل بعض آثارها وظهور فنّ المسرح. لكنّ اللهجات المحلّيّة واللغات الأجنبيّة كانت تزاحم الفصحى وتكوّن خطرا حقيقيّا عليها. يضاف إلى ذلك رغبة أكيدة عند المثقّفين في الأخذ بأسباب التقدّم والرقيّ مع الحفاظ على الأصالة.

وكان لزاما على العرب أن يفكّروا في إنشاء مجامع علميّة على غرار الآكاديميّات في أوربّا. وكان أحمد فارس الشدياق أوّلَ من فكّر في ذلك حوالي سنة 1870. وغذّى الفكرة من جاء بعده ؛ غذّوها بجهود متواصلة فأسِّسَت عدّة مجامع خاصّة لم تلبث أن زالت لعدم دعم الدُّول لها. ثمّ أنشئ تباعا المجمع العلميّ بدمشق (1919) ومجمع اللغة العربيّة بالقاهرة (1932) والمجمع العلميّ العراقيّ (1947) ومكتب التعريب 1961 ،ومكتب تنسيق التعريب التابع للجامعة العربيّة 1964 ، وكلا المكتبين بالرباط، والآكاديميّة الملكيّة بالمغرب 1977 والآكاديميّة الجزائرية الحديثة التأسيس.

وبما أنّ موضوعنا العربيّة ومدى استيعابها للثقافات رأيت أن أقصر الحديث عن مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة ومهمّته الأساس تطوير اللغة العربيّة وتمكينها من مسايرة الحضارة المعاصرة مع المحافظة على أصالتها. ومن أهدافه المرسومة: وضع معجم تاريخيّ كبير للعربيّة،ومعاجم خاصّة للعلوم والفنون، ودراسة السيميائيّة العربيّة واللهجات المعاصرة. أمّا ميادين نشاط لجانه التسع وفقا لاختصاص أعضائها واهتماماتهم فالعلوم الاقتصاديّة، والأصول العامّة، والرياضيّات، والعلوم الطبيعيّة والكيمياويّة، والبيولوجيا والطبّ، والآداب والفنون، والمعاجم، واللهجات، والمجلّة، والمكتبة. ولقد قدّم المجمع خدمات جلّى للثقافة وللغة العربيّة ووضع الآلاف من المصطلحات وألفاظ الحضارة في شتّى مجالات المعرفة إلاّ أنّ مشاكله عديدة وهي مشاكلنا كلّنا وأهمّها :

- انقطاع العرب عن الإنتاج العلميّ الأصيل منذ ما يناهز السبعة قرون. وقد رأينا أنّ اللغة لا ترقى إلاّ برقيّ أهلها ولا تكون طليقة وأهلها مقيّدون، وأنّ مشكلة المصطلح لا تطرح بحدّة إلاّ في نقل ثقافة أجنبيّة.

–أنّ العلوم في تطوّر مستمرّ وأن ميادينها المتشعّبة تتّسع وتتعدّد بسرعة مذهلة.

–اختلاف اللغات المنقول عنها، والتأليف الفوضويّ، وقلّة التنسيق بين المؤلفين، وعدم رعاية الحكّام رعاية مباشرة للحركة الفكرية العلميّة مثلما رعاها الأوائل أمثال المنصور والرشيد والمأمون وبنو حمدان.

–أنّ القدماء كانوا في كنف دولة واحدة وكانوا أمكن منّا في اللغة العربيّة وأنشط إلى التأليف والبحث والتمثّل للعلوم المنقولة وتطويرها وأشدّ حرصا على الإبداع لا يعترضهم في ذلك معترض ولا يعوقهم في سبيل تحقيق آمالهم عائق إلاّ فقدان الوسائل

المتوفّرة لدينا اليوم كالطباعة والوسائل السمعيّة البصريّة وسرعة التنقّل وكلّ ما جعل من العالم المترامي الأطراف رقعة صغيرة يسهل التواصل بين سكّانها. وكان العلماء المسلمون يتنقّلون بين الأندلس وبغداد في مملكة واحدة لا يحتاجون إلى تأشيرة دخول أو مرور من صقع إلى آخر، وكانت المسافات بعيدة والأسفار مضنية لكنّهم كانوا يشعرون بأنّهم في دار واحدة هي دار الإسلام ولا يعدّون أنفسهم غرباء لما كان يقدّم لهم إخوانهم في الدين من حفاوة تنسيهم ما كابدوا من مشقّة في رحلاتهم الطويلة التي لم يكونوا يقصدون بها إلاّ طلب العلم واكتساب المزيد من المعرفة.

– أنّنا نجابه اليوم أضعاف ما كان يجابه العرب والمسلمون وإن كنّا في نفس الوضع.واجهوا حضارات توقّف أهلها عن الإنتاج كالحضارتين الإغريقيّة والفارسيّة أو ثقافات يسهل التغلّب عليها بالجدّ الجادّ والعمل الدؤوب والجهود المتضافرة المنظّمة. وتفرض نفسها علينا ثقافات كثيرة معاصرة متطوّرة يوما بعد يوم كما أسلفنا، ثقافات ضنين أهلها بها علينا إلاّ بما يجعلنا تابعين لهم شئنا أم أبينا، ضاربين علينا بتفوّقهم طوقا نتخبّط فيه، جاهدين في تفريقنا بما لا تُحْمَدُ عُقباه وقد نجحوا في ذلك نجاحا محَقَّقا.

على الناطقين باللسان العربيّ أن يكونوا أكثر وعيا ممّا هم عليه اليوم ويحدّدوا غاياتهم بوضوح كامل ويوحّدوا جهودهم للدخول في الحضارة المعاصرة من بابها الواسع ولن يكون ذلك إلاّ بتوسيع المجالات الثقافيّة، والتفتّح على العالم المتمدّن تفتّحا حقيقيّا مع المحافظة على الأصالة، والإسهام في الإبداع العلميّ والتقنيّ باكتساب المهارات المؤهّلة لذلك.

صفوة القول أنّ اللغة العربيّة ثريّة إلى أقصى حدود الثراء مرنة طيّعة لها من المميّزات ما يجعلها قادرة على استيعاب الثقافات والحضارات المعاصرة كما استوعبت قديمها وخدمت به البشريّة بعدما تمثّلته وطوّرته؛ لكنّها تابعة لأهلها ككلّ لغة. فالمجتمع المتوقّف الراكد لغته متوقّفة راكدة. واللغة الحيّة كما أسلفنا هي الخاضعة لسنن الحياة المتطوّرة تطوّرا مستمرّا بتطوّر الوِجدان والفكر والبيئة والمجتمع. والحقيقة التي لا مراء فيها أنّ اللغات متكافئة لا فضل لإحداهما على الأخرى وأنّ العجز في الإنسان لا في اللسان.